

اجتهادات العلم .. وما بعد الحقيقة

Post - هل يوجد تعارضٌ حقًا بين أطروحات تيار ما بعد الحقيقة ، والنظريات العلمية؟ يفهم من كتابات بعض أنصار هذه Truth الأطروحات وجود تعارض، استنادًا على تفسيرٍ معين للفكرة المركزية فيها وهى النسبية الثقافية، وما يرتبطُ بها من تعظيمٍ شديدٍ لقيمة ما يراه أو يدركه أو يطمئن إليه كل فرد.

والتفسيرُ المقصودُ أن لدى كل فردٍ تصوّره الخاص للحقيقة، وأن هذا يتعارضُ مع أهم مقومات العلم وهو السعى إلى فهم الظواهر المختلفة بواسطة البحث المنهجي الصارم الذى يقودُ إلى بناء نظريات، وبالتالي تعميم النتائج التى يتم التوصل إليها.

لكن ما يحتاجُ إلى مراجعةٍ فى هذا التفسير هو الاعتقادُ فى أن تعميم نتائج يُتوصلُ إليها بطريقةٍ علميةٍ ينطوى على نوع من الإطلاق، الذى يتعارضُ مع نسبية عالم ما بعد الحقيقة. فالنظريةُ العلميةُ ليست مطلقةً، إذ تكونُ صحيحةً فى اللحظة التى ينتهى عندها البحث الذى أثبتتها، وتبقى كذلك لبعض الوقت حتى يتجاوزها بحثٌ آخر يضيفُ إليها أو يُعَدِّلُ فيها أو يصلُ إلى نظريةٍ مختلفة.

ويعنى هذا أن صحة النظرية العلمية مؤقتة لأن البحث فى موضوعها لا ينتهى. ومادام البحثُ مستمرًا، فالتفكيرُ فى النظرية التى يتم التوصلُ إليها يبدأ منذ نشرها. وينطوى هذا التفكيرُ بطابعه

على رؤى فرديةٍ مختلفةٍ يمكنُ أن يكون أحدها سببًا فى تجاوز النظرية.

وإذا صح أنه لا نهاية للبحث فى أى موضوع، فلا مجال لتصور علمٍ مطلق، وبالتالي متعارض مع النسبية الثقافية التى يصعبُ أصلاً قبول الزعم بأنها جديدةٌ لم تُعرف إلا مع تيار ما بعد الحقيقة. فما هذا التيار إلا إعادة إنتاج بطريقةٍ أكثر تطورًا لأفكارٍ لم تكن بعيدةً عن الفكر والفلسفة عبر التاريخ، وإن طُرحت بأشكال مختلفة.

والحالُ أن العلم ليس ثابتًا مطلقًا، بل متجدد. وهذه هى قيمته كونه يفتح آفاقًا جديدةً طول الوقت. وينطبقُ هذا على العلوم التى تبحثُ فى أكثر الظواهر تعقيدًا، مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا الحيوية الآن، وعلى بقية العلوم التى تتعامل مع ظواهر طبيعية، وكذلك العلوم الاجتماعية أو الإنسانية.